AFKĀR *Journal of Islamic & Religious Studies*
Volume 4, Issue 1, June 2020, PP: 31-42
E-ISSN 2616-8588; P-ISSN 2616-9223
www.afkar.com.pk; hjrs.hec.gov.pk

Scan for download

أسس وتطبيقات منهج تربية الرسولﷺفي تربية البنات ماقبل الزواج ومابعدها

Prophetic Approach on Upbringing of Daughters before & after Marriage

Muhammad Fakhar Moeen [1] **& Hafiz Haris Saleem** [2*]
[1] Lecturer, Department of Arabic Language, NUML, Islamabad, Pakistan
[2] Assistant Professor, Government College Murree, Pakistan

ARTICLE INFO

Article History:
Received 06 July 2020
Revised 18 July 2020
Accepted 20 July 2020
Online 20 July 2020

DOI:

Keywords:
Prophetic Approach, Upbringing, Daughters, Ethics, Marriage, Muslim Society.

ABSTRACT

The human society consists of two main pillars; male and female. A woman can play a vital role in a society if only she is brought up with care, love and justice. Islam does not only address the significance of upbringing of daughters, but also defines her role in a society. This research is aimed to identify the fundamentals of the prophetic practice and guidance regarding upbringing girls before and after marriage. The article comprehensively discusses the importance of grooming daughters along with some fundamental principles regarding raising girls. Moreover, the article addresses the solution of the issues come across while upbringing of their daughters, including social, cultural and moral problems. The article applies descriptive and applied method for the research. The research brings a viewpoint that marriage – a Sunnah of the Prophet Muhammad (peace be upon him) has a distinct significance in a Muslim society and raising a female baby needs a higher level of attention. Various findings and recommendations are presented very precisely in the conclusion.

[*] Corresponding Author's email: drharissaleem@gmail.com

CC BY

المقدمة

إن البنت هي ذلك المخلوق البشري المرهف الحس، خلقها الله تعالى لتكون عماد المجتمع من منطلق قوله تعالى: "فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى"[1] فالبنت هي أساس المجتمع وينبوعه الذي لا ينضب، ولقد كانت في عصر ما قبل الإسلام تعيش في دائرة الهوى والظلم والهوان، فجاء الإسلام ليعيد للبشرية توازنها، ويخرجها من ظلمات الجاهلية إلى النور والهدى، والإسلام تناول قضية البنت وبين واجباتها وأظهر دورها في هذه الحياة وحقّق لها حقوقها ولم يغفل عنها، بل أولاها كل الرعاية ووفاها حقها من التكريم، واهتمام الإسلام بالبنت هو اهتمام نابع من صميم هذا الدين الذي يرفع من قيمة الإنسان ليكون جديرًا بخلافة الله على الأرض، وقد أعطاها الإسلام مكانة سامية بعد أن أُهدِرَت وضاعت حقوقها، فوهبها الإسلام نفسها وأعطاها حريتها، وجعل لها مكانة تُحيطها الرحمة والحب. والرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل مرب وخير قدوة في التعامل مع البنات، فقد كان أبًا لأربع بنات، رباهن وأدبهن وأحسن تربيتهن، حتى أثمرت تلك التربية النبوية بنتًا مثل السيدة فاطمة رضى الله عنها، ولا شك في أن الهدي النبوي الشريف بحكمته البالغة ومنهجه القويم هو الذي يرسم لنا أبعاد تربية البنات ومبادئها وبيان فضائلها في الدنيا والآخرة.

تعتبر الأسرة من أهم مكونات المجتمع فهي التي تحدد ملامح شخصية الفرد من خلال ميوله وتحديد ملامح شخصيته، ولها الدور الهام في تنشئته على فضائل الأخلاق والشمائل الكريمة وتغرس فيه الثقة بالنفس وحب الخير وحب الناس والتمسك بالقيم الإسلامية، والأسرة التي لا تهتم بتربية أطفالها وتنشئتهم تنشئة سليمة على تلك المبادي والخصال الطيبة فإنها بلا شك تقدم للمجتمع الضرر، أما الأسرة التي تحرص على تربيتهم تربية حسنة فإنها تكون قد أهدت للمجتمع الخير كله. قد جاءت التربية الإسلامية شاملة للكيفية التي يتربى عليها الأولاد ذكورًا وإناثًا لجميع الجوانب التربوية من حيث أداء الواجبات الدينية والسلوكيات والعادات الحسنة، ولا تنسى الأسرة أن الأولاد أمانة في أعناقهم سيسألون عنهم يوم القيامة، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان الأسس التي قام عليها منهج الرسول ﷺ في تربية البنات وتوضيح كيفية تطبيق الأسس التي قام عليها منهج الرسول ﷺ في تربية البنات في الأسرة مع إبراز المشكلات التي تواجه تربية البنات في المجتمع المسلم. وهذه الدراسة تختار المنهج الوصفي لكي تصف واقع حال تربية البنات في منهج النبوة وذلك من خلال تعامل الرسول ﷺ مع البنات في تربيتهن وتوجيههن للخير وتعديل سلوكهن للأفضل. هناك بعد الدراسات ذات الصلة بموضوع هذا البحث ومنها: "منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية" رسالة لنيل درجة الماجستير في أصول التربية قدمتها منال موسى علي دبابش، والمنهج النبوي في تربية الأطفال مقالة كتبها د. سهاد عبد الله بني عطا في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

أهمية تربية البنات في الإسلام

إن الأسرة المسلمة السعيدة هي التي تعتني بتربية أولادها من البنين والبنات تربية إسلامية واعية أساسها الأدب والأخلاق الفاضلة، كلما أحسنت الأسرة تربيته كانت الثمرة المرجوة منه طيبة، والآباء والأمهات كلما أخلصوا وضحوا في تربية أولادهم ابتعدوا عن غضب الله تعالى وسخطه يوم القيامة، وبخاصة قضية تربية البنت، فهي تحتاج إلى أن تحظى من المسلمين جميعهم بأعلى درجات الاهتمام، وأن يوفروا لها كل أسباب النجاح، من غير تفرقة بينها وبين الذكر في التربية، بل بالمساواة والعدل والإحسان إليهم جميعًا.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين ذلك الفضل ما يلي:

1. عن عائشة قالت: "دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرتُه، فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار."[2]

ومن خلال هذا الحديث يستعمل الإسلام أسلوب الإغراء بالمكافأة الجزيلة، بدافع الترغيب في حسن الاهتمام بتربية البنات، ولا أجزل من دخول الجنة، فيأتي ذلك الحديث مصورًا جانبًا من الإيثار على النفس والعناية الحانية على البنات في مشهد آسر ومنظر خلاب، ثم يذكر المكافأة للتحفيز والتنافس.[3]

2. قال رسول الله ﷺ: "من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابًا من النار."[4]

ويُستفاد من قوله ﷺ: "من ابتلي من البنات بشيء..... إلخ"، أن الإحسان إلى البنت الواحدة سيكون أيضًا سببًا للحصول على الستر من النار.[5]

هذا وقد بلغ من وصية الرسول ﷺ من الاهتمام بالبنات وحسن تربيتهم ما دفع أصحابه: لأن يروا أنه "ليس على صاحب ثلاث بنات صدقة، ولا جهاد، لحاجتهن إليه، وشغله بهن، والعناية بتربيتهن."[6]

ومن عظيم تشريف تربية البنات والاهتمام بهن أن الله تعالى قد قدم ذكرهن على البنين في قوله تعالى: "لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ. أَو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ"[7]

فالإنجاب أمر يكون بقضاء الله وقدره، فسبحانه يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، ويجمع لآخرين الذكور والإناث، ويبتلي آخرين بالعقم.

المطلع على سيرة نبينا الكريم محمد ﷺ يجد أن البنات قد حظين باهتمامه الشديد في جميع مراحل حياتهن، بل إن تعامله الرافي والكريم معهن يؤكد فهمه العميق لنفسيتهن وطبائعهن وشخصياتهن وما فيها من فروق فردية، وحاجات نفسية، ودوافع فطرية، وبناءً على ذلك فقد وجه ﷺ المربي بطريقته الحكيمة، وأسلوبه التربوي المناسب، إلى حسن تربيتهن ورعايتهن، وكتب السيرة والأحاديث الشريفة تفيض بالأمثلة الرائعة من هديه الجميل في تعامله الرحيم للاقتداء به في تربيتنا وتعليمنا وتوجيهنا للبنات.

تحتاج الفتاة المراهقة إلى الزواج: لأنه من الحاجات النفسية والعضوية، فإشباع الغريزة الجنسية مثل إشباع دافع الجوع والعطش، والفتاة في مرحلة المراهقة تكون في بداية الطريق لتكوين حياة أسرية مستقرة، فتكون حاجتها تجاه الجنس الآخر قوية، فنجدها دائمة التفكير وكثيرة الخيال حول ذلك، فالفتاة المراهقة قبل الزواج مضطربة المشاعر وتشعر بالغربة والقلق، فتحس أنها بحاجة إلى شيء تسكن وتطمئن وتستقر إليه وهو الزواج، ولكن إذا تزوجت الفتاة أصبحت ساكنة النفس ومرتاحة البال مستقرة ومستقلة بحياتها ويزول القلق، وكل تلك الاضطرابات في نفسها وهذه نعمة نفسية واجتماعية كبيرة من نعم الزواج التي يمنحها الله تبارك وتعالى للفتاة بذلك التألف والتجاوب.[8]

فالزواج هو من آيات الله تعالى وسنة من سنته في خلقه، وقد حث ورغب إليه ديننا الحنيف، فتلبي الفتاة من خلاله نداء الفطرة بعد أن كانت في بيت أهلها تحقق جميع رغباتها نجدها تخطب إلى زوج وتنتقل معه إلى عش الزوجية لتنمو وتتفتح بينهما ورود المحبة والألفة والمودة والرحمة، قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[9]، والزواج من سنة الرسول ﷺ،

وقد جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟" أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.[10]

والزواج عقد كريم يربط بين المرأة والرجل، فهو الوسيلة المشروعة لإشباع الغريزة الجنسية: فيتمتع بذلك كل من الزوجين بطريق حلال وشريف، ومن خلال ذلك يتم عمارة الأرض والمشاركة في تنشئة الذرية الصالحة ورعايتهم ليقوموا بنهضة ورقي الأمة.[11]

وقد لوحظ عند البعض ظاهرة التقليل من أهمية الزواج والاستهزاء به، وأصبح شعار (الزواج شر لابد منه) قاعدة لديهم، بل تفنن البعض الآخر في استخدام الكاريكاتير الذي يُظهر حال الشخص قبل وبعد الزواج، فإذا كان الزواج شرًا هل يُعقَل أن يأمر به رسول الله ﷺ؟ هل كان الرسول ﷺ يأمر بالشر حين قال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج"[12] أتكون سنة الرسول ﷺ التي قال عنها "وأتزوج النساء.. هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني" شرًا حاشاه ﷺ وهو الرحمة المهداة أن يأمر بالشر، لكن قد أصبحت شعارات هؤلاء تسبق أقوال رسولنا ﷺ، فكل ما جاء في كتاب الله عز وجل صحيح ومطابق للعلم.

والزواج سنة نبوية و شريعة إلهية، لكن الملحدين عزفوا عن الزواج ولجأوا إلى الصداقة والشذوذ والفاحشة، فكانت الأمراض الجنسية المعدية والاكتئاب، ولقد وضع كثير من شبابنا من الجنسين أمام الزواج حواجز وهمية ومطالب مثالية كالمال والدراسة والسن ساهمت في إقناعهم بها وسائل الإعلام في ظل غفلة أو تغافل من الوالدين عن المعالجة والمصارحة مع أبنائهم لإزالة هذه الحواجز من أذهانهم، فالثقافة الزوجية التي تعطيها الأسرة للفتاة والشاب لا بد منها، فهي مهمة جدًا فهي تجعلهم مستعدين لما بعد الزواج من مسؤوليات مادية ومعنوية وعاطفية، كما تجعل الزوجين يتعاملان بنوع من النضج والحرص على إنجاح الحياة، وقد وصف القرآن الكريم الزواج بالميثاق الغليظ فهو عقد وثيق، قال تعالى: "وَأَخَذْنَ مِنْكُم مِيثَاقًا غَلِيظًا"[13]، وقال ﷺ: "اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله."[14]

يقوم منهج الرسول ﷺ في تربية البنات في مرحلة ما قبل الزواج وما بعده على أسس ومن أهم هذه الأسس ما يلي:

حسن الاختيار:

رغّب الإسلام في حسن اختيار الزوج الكفء عند تزويج الفتاة: وذلك عن طريق الأخذ بعين الاعتبار عدة أسس ومعايير منها ما يختص بالمضمون ومنه ما يختص بالمظهر.[15]

والناظر إلى الآيات القرآنية والأحاديث يلاحظ أن المتحلي بالدين والخلق هو المقدم على غيره.[16] قال تعالى: "وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[17]، وقال رسول الله ﷺ: "إذا أتاكم من تَرضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض و فساد عريض."[18]

وذلك المعيار هو أهم وأفضل معيار في اختيار شريط الحياة ويأتي في المرتبة الأولى قبل أي معايير أخرى: لأن المعايير الأخرى التي تأتي بعد ذلك هي معايير ثانوية ودنيوية وشكلية، ففي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ بتزويج من كان مَرْضِي الدين والخُلُق، وهذا يدل على أن من كان فاسد الدين سيئ الخلق لا ينبغي تزويجه، ففيه حث على اختيار الأزواج والأخذ في الاعتبار المؤهلات الشرعية والخُلقية، وكثير من الآباء لا يهتم بهذا الجانب عند تزويج ابنته: فلا يختار لها

الرجل الذي أرشد إليه الرسول ﷺ، وإنما يختار لها الرجل الذي يهواه هو حتى لو كان فاسدًا في دينه سيئًا في خلقه، لا مصلحة للمرأة من الارتباط به.

وفي مجتمعنا تُشكل العادات والتقاليد الاجتماعية أسسا تُسَيّر حياتنا وخياراتنا بدءًا من التعليم وانتهاءً بأساليب الزواج، فنجد أساليب مختلفة لدرجة التناقض في اختيار الشريك، فبين الخطبة عن طريق الأهل إلى الزواج عن طريق الإنترنت، وفي الواقع الحالي لا يوجد محددات ومعايير ثابتة عند اختيار الزوج، فلكل فتاة معاييرها الخاصة حسب ما تحلم به، فهناك فتاة تحلم مثلًا بشاب طموح ولا تهتم بالشكل، وهناك من تحلم بشاب غني ووسيم، وأخرى تحلم بشاب متدين، فالمعايير تختلف حسب ثقافة وتفكير وطبيعة وظروف كل فتاة.

"وإذا تقدم الزوج الكفء للفتاة وهي قد أبدت موافقتها ومنع ولها زواجها فقد عضلها عن الزواج، ويذكر عبد العزيز الحميد: مفهوم العضل وحكمه فيقول: العضل هو منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك، قال تعالى: "فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ"[19] وقد وجد في المجتمع من يعضل موليته لا لسبب شرعي وإنما لأغراض وأهواء، وهذا في الحقيقة لا يجوز ومحرم شرعًا، وقد ورد في السنة ما يفيد بحرمة ذلك: لأن الولاية في الحقيقة وفي مفهومها الشرعي ولاية إصلاح ورأفة ورحم لا ولاية تسلط وأهواء وأغراض، وإذا حاد الولي عن هذا المفهوم الشرعي جاز للمرأة – سواء كانت بكرًا أو ثيبًا- أن ترفع أمرها الحاكم الشرعي لتنتقل الولاية إل من بعده.

ومن سماحة الإسلام وعظمته أن أعطى للفتاة حقها في زواجها ممن ترغب وتريد أن يكون شريط حياتها، قال ﷺ: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: كيف إذنها؟ قال: أن تسكت"[20] وليس لوالدها أن يجبرها على أن تتزوج من رجل لا تريده أو أن يرد أو يطرد من هو كفء لها.[21]

وهدي رسولنا الكريم قد وقف بجانب الفتاة في مثل تلك المسائل الحساسة، فإذا أُكرهت الفتاة على الزواج من رجل لا تريده فإن زواجها مردود، فعن خنساء بنت خذام الأنصارية "أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه".[22]

نظر الخاطب إلى خطيبته

أرشد النبي الكريم ﷺ إلى أن ينظر كل من الخاطب والمخطوبة أحدهما للآخر، ويلتقيا على أن يكون معهما ولي أمر الفتاة، "إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل."[23]

فعلى الأب المسلم ألا يمنع ابنته من رؤية من يتقدم لخطبتها بحجة التقاليد والعادات، فتلك التقاليد يجب أن تخضع لحكم الشريعة الإسلامية وليس أن تخضع شريعة الله لحكم الناس، فعن المغيرة بن شعبة قال: أتيت النبي ﷺ فذكرتُ له امرأة أخطبها، فقال: "اذهب فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما"، فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها وأخبرتهما بقول النبي ﷺ، فكأنهما كرها ذلك، قال: فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر وإلا فأنشدك، كأنها أعظمت ذلك قال: فنظرت إليها فتزوجتها.[24]

ولعل الهدف والحكمة من الرؤية "ليس فقط الموافقة على الشكل والمظهر، وإنما أيضًا للتوافق الفكري والميول والإتجاهات حتى يحصل ائتلاف وتوافق القلوب".[25]

فعن عائشة قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف."[26]

الصداق وتكاليف الزواج

الصداق هو حق من حقوق المرأة على الزوج، وهو برهان منه على مدى صدقه وجده في الإرتباط والزواج بها،

و دليل على تحمل المسؤولية والتزامه نحوها بالحنان والعناية والإكرام: لذلك سماه الله صداقًا.[27]

قال تعالى:"وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً"[28]،ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى المؤمنين "بأن يعطوا مهورهن فريضة منه تعالى فرضها على الرجل لامرأته،فلا يحل له ولا لغيره أن يأخذ منه شيئًا إلا برضا زوجته".[29]

ومن تسهيل ديننا الحنيف لبناء الأسرة المؤمنة المباركة وعش الزوجية السعيد الذي أساسه الرحمة واللين واليسر "جعل نبينا الكريم ﷺ الزوجة المباركة أساس تكوين الأسرة الصالحة، فتكون هي أبوك النساء باقلهن مهرًا"[30]. قال رسول اللهﷺ: "مِنْ يُمْنِ المرأة أن يتيسر خطبتها، وأن يتيسر صداقها، وأن يتيسر رحمها."[31]

وسنة النبي ﷺ وهديه هو عدم المغالاة في الصداق، فخير الصداق أيسره، فقد زوج الرسول عليه والصلاة والسلام بناته على اليسير من الصداق، فعندما جاء علي يخطب فاطمة قال له الرسول ﷺ: "لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: هل عندك من شيء تستحلها به؟ قال: لا والله يا رسول الله، قال: فما فعلت بالدرع التي كنت سلحتكها؟ قال علي: والله إنها لدرع حطمية ما ثمنها إلا أربعمائة درهم، قال: اذهب فقد زوجتكما وبعث بها إليها."[32]

ويعتبر من السنة كذلك اليسر في الوليمة،"فمن مظاهر الزواج اليسر في الوليمة"[33].ففي ليلة زواج فاطمة قال الرسول ﷺ:"يا علي، إنه لا بد للعرس من وليمة، قال سعد: عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار أصاع من ذرة".[34]

كما يسن ليلة الزواج الدعاء للعرسين، ففي ليلة زفاف علي من فاطمة دعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي فقال: "اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبلهما."[35]

أما جهاز العروس "فعن علي أن رسول الله ﷺ لمّا زَوَّجَهُ فاطمة بعث معه بخميلة، ووسادة، من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين."[36]

فهذا الجهاز البسيط هو جهاز سيدة نساء العالمين الزهراء،"ولو كان أبوها يريد أن يجهزها بما شاء لكانت الدنيا طوع يده، ولكنه أعرض أهل بيت عنها".[37]

الزوجة ومسؤوليتها تجاه شؤون بيت الزواجية

إن من المهام العظيمة والمهمة التي تتحملها الزوجة في بيتها من أول لحظات زواجها هي مسؤوليتها في رعاية مصالح المنزل والعناية بشؤونه، "فقد قامت سيدة نساء العالمين حبيبة رسول الله ﷺ السيدة فاطمة خير قيام من خدمة بيتها ورعايته، فتطحن بالرحى وتعجن حتى أثر الرحى في يدها الشريفة، فجاءت تشتكي ذلك للرسول ﷺ وتطلب منه خادمًا".[38]

فقد أتت فاطمة النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة "فلما جاء الرسول ﷺ أخبرته، قال علي: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال: "مكانكما"، فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه عل صدري، فقال "ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟" إذا أويتما إلى فراشكم، وأخذتما مضجعكما، فكبرا أربعة وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، وأحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم."[39]

وقد كان علي من الفقر بحيث لا يستطيع أن يستأجر لفاطمة خادمًا تعينها وحكي "بأنه تقوم عنها بالعمل الشاق، فكان عليها أن تنفرد بهذا العبء الثقيل".[40]

الرجل ملزم بالإنفاق على أسرته وتوفير جميع متطلبات الأسرة من طعام وشراب وكساء وغيره، لقوله تعالى: "لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا"[41]: لذا فإنه من باب إحسان الزوجة أن تشارك زوجها خدمة بيتها ورعاية شؤونه و"هذا احتساب للأجر عند الله سبحانه وتعالى وعن طيب نفس منها وتقديرًا لظروف زوجها من غنى أو فقر".[42]

وعلى الزوجة أن تقوم بخدمة زوجها إذا كانت موارده محدودة ولا تمكنه من إحضار خادمة لها تساعدها في أعمال البيت، وتحرص على توفير الراحة والسكينة له، وأن يقع نظره دائمًا على منزل نظيف ومنظم يملؤه الذوق والجمال وتنسيق وتجميل للمائدة وللطعام، "وجعل الأطفال مهذبين نظيفين: ذلك كله مما تقوم به الزوجة الذكية اللبقة الجميلة بأخلاقها ودينها وعواطفها تجاه زوجها وأطفالها ومنزلها، فهذا يعتبر من حسن التبعل للزوج الذي حث عليه الإسلام".[43]

ومساعدة الزوج لزوجته في أعمال المنزل ليس فيه أي حرج أو عيب أو إنقاص من رجولته وهيبته وقدرته، بل على العكس فذلك برهان منه لها بحبه وتقديره لمجهودها وتطيبًا لخاطرها، فبعضهم يعتقد "أن أعمال البيت من مهام المرأة فقط وليس للزوج أي دخل، غير أن سيد البشرية وأعظم زوج عرفه التاريخ كان يساعد أهله دون أي حساسية وانزعاج كما نراه اليوم من بعض الأزواج".[44]

فقد سُئلت عائشة: "ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله: تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".[45]

اعتناء الأهل تجاه ابنتهم بعد الزواج

من هدي النبي ﷺ في رعايته لبناته بعد الزواج أنه كان يزورهن بعد الزواج ويدخل عليهن الفرج والسرور، فقد زار النبي ﷺ أم كلثوم رضي الله عنها بعد زواجها من عثمان بن عفان رضي الله عنه، فدخل عليها فقال: "يا بنية، كيف وجدت بعلك؟ قالت خير بعل، فقال النبي ﷺ : أما أنه أشبه بجدك إبراهيم وأبيك محمد."[46] "كما زار فاطمة بعد زواجها بثلاثة أيام واستمع العروسان إلى كلام النبيﷺالذي يفيض بالرحمة والحنان والحكمة والموعظة الحسنة".[47]

ولم يكن يشغله عليه الصلاة والسلام عن بناته رضي الله عنهن شاغل، بل كان يفكر فيهن وهو في أصعب الظروف، فعندما أراد النبي ﷺ الخروج لبدر لملاقاة قريش وصناديدها كانت رقية رضي الله عنها مريضة "فأمر النبي ﷺ زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبقى في المدينة ليمرضها".[48]

اعتناء الأهل تجاه ابنتهم بعد الطلاق

قد تكثر الخلافات بين الزوجين وتستمر إلى حد أن تصبح الحياة والعشرة بينهما مستحيلة: فلا يكون أمامهما حلًا إلا اللجوء إلى الانفصال، فالطلاق يعتبر حلًا لكثير من المشكلات، ولكن يجب أن يكون هو آخر الحلول، فلا بد من معرفة سبب وحقيقة الخلاف بين الزوجين أولًا، فلا شك في أن هناك أسبابًا كثيرة لتوتر العلاقة الزوجية واللجوء إلى الطلاق، "ولعل من أهم هذه الأسباب عدم وجود الحوار الهادئ بين الزوجين والمصارحة من الطرفين عن كل ما يدور من مشاعر من طرف تجاه الآخر، وكتم عدم الرضا والغضب: فتحدث تراكمات في النفس ويعيش كلا الطرفين في عالم بعيد عن الآخر، فيتخذا قرار الطلاق عند حدوث أي مشكلة دون تريث أو تفكير".[49]

وفي بعض الحالات قد تطلق الزوجة بسبب الظلم والعدوان: فتشعر البنت بالحزن والظلم والقهر ويحزن أهلها لحزنها، والعزاء في ذلك "أن ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما قد طلقتا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بسبب أنهما قد صدقتا ما قاله الرسول الكريم ﷺ بأنه نبي هذه الأمة: فأغضب ذلك الكلام قريشًا، فقد تزوج عتبة بن أبي لهب من رقية بنت رسول الله ﷺ، فلما نزل قوله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"[50] قال أبو لهب: "رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنت محمد: ففارقها قبل الدخول"[51]، وأيضًا لم يكتفِ أبو لهب بذلك بل "أمر ابنه عتيبة بأن يطلق أم كلثوم بنت النبي ﷺ ظنًا منه أنه بذلك يستطيع أن يشغل النبي ﷺ عن دعوته."[52]

فقد كان ذلك الحدث له بالغ الأثر على قلب ونفس البنتين الصبيتين، ولكن "بيت رسول الله ﷺ بيت صبر وثبات وتوكل واستسلام لقضاء الله، فسرعان ما تذهب عن النفس الحزن وتهدأ".[53]

فقد خاب ظن المشركين من قريش فلم يشغل محمد ﷺ بابنتيه عن دعوته، ولم يشق عليه طلاقهما: فقد نجاهما الله من محنة العيش مع حمالة الحطب وأبي لهب، ثم ما لبث أن أبدلهما خيرًا منهما زوجًا صالحًا كريمًا من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة: ذلك هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

"وفي ذلك درس عظيم من دروس الهدي النبوي للبنات والأهل بأن يصبروا ويحتسبوا الأجر من الله تعالى إذا لحق الطلاق بالزوجة ظلمًا فسوف يعوضهم الله تعالى خيرًا".[54]

التطبيقات التربوية للأسس منهج الرسول ﷺ في تربية البنات ما قبل مرحلة الزواج وما بعده:

1. مجالسة الأم لابنتها المقبلة على الزواج فتستمع إليها وتناقشها في الأمور التي تتعلق بالحياة الزوجية، بصياغة عقل الفتاة وفق أفكار زوجية ومفاهيم صحيحة، فالأم تستطيع أن تكون قدوة لابنتها من خلال معاملتها لزوجها بالحسنى وتقدير ظروفه إذا مرض وإعانته على أعباء الأسرة، وتغرس في نفسها احترام الزوج، فتكون الأم نموذجًا للزوجة الناجحة أمام ابنتها، والتأكيد على أن طاعة الزوجة لزوجها في المعروف ليس معناه محو شخصيتها.

2. ينبغي للفتاة أن تأخذ برأي والديها وتستشيرهما عند إقدامها على الزواج لأنهما أكثر منها خبرة بالحياة والتعامل مع الناس.

3. الاهتمام باختيار الزوج الكفء للفتاة كما أرشد الرسول ﷺ وهو الزوج الذي يحمل صفات الدين والخُلق، لما فيه من صلاح البنت وأولادها، فعليه التحقق من السؤال عن الشاب من ناحية خلقه ودينه في العمل وبين أصدقائه عن طريق من هو مشهود لهم بالصلاح والخير، كما يمكن للولي، الجلوس مع الشاب عدة مرات لمعرفته عن قرب ومعرفة شخصيته وطريقة تفكيره.

4. دعوة الفتاة المسلمة الواعية لأن تكون حكيمة عند اختيار زوجها: فلا تقف عند جمال المظهر ومظاهر الغنى والثراء، بل تقف عند الدين والخلق فهما أساس البيت الزوجي الناجح السعيد، ولكن ذلك ليس معناه أن ترضى بالقبيح والذميم، ولكن أيضًا حسن المظهر مطلوب، بمعنى أن توازن فلا يطغى الشكل على المضمون أو العكس، فمن حقها أن تختار الرجل الذي تملأ شخصيته عينها وقلبها وعقلها.

5. على الأب أن يستشير ابنته في أمر خطبها إذا كان سيئ السمعة والسيرة فإنه من واجبه وتمام مسؤوليته عدم استشارتها في أمره ويجب عليه أن يصرفه عنها.

6. السماح للخاطب برؤية الفتاة المراد خطبتها، فتراه ويراها بشكل واضح حتى يستطيع كل منهما تكوين فكرة عن الآخر، ويتحدث أحدهما مع الآخر، مع وجود ولي أمرها.

7. ابتعاد الأهل عن المُغالاة في المهور وأن يقنعُوا بالقليل، ولكن في الوقت نفسه لا يبخسوا حق الفتاة في مهرها، فلا يتنازلوا إلى حد الظلم في هضم حقوقها، بل يرفعوا من قدرها: لأن ذلك الصداق من حقها، مع التوسط في طلب المهر من الشاب، حتى لا تتعطل الفتيات والشباب عن الزواج، وحتى لا يكثر أبناء الزنا وتكثر الفواحش والجرائم الاجتماعية، وحتى يزول الظلم عن العباد والبلاد.

8. التأكد من صدق رغبة المتقدم ووجود النية للزواج من الفتاة، وأن يجمع المعلومات عنه قبل أن يدخل البيت ويرى الفتاة، فلا بد من أن تكون الرؤية بعد التأكد من جدية الخاطب وبعد الموافقة عليه حتى لا يحصل تعلق قلبي بينهما ثم تُفَك الخطبة.

9. استعانة الزوجة بذكر الله تعالى على أعباء المنزل: فتتغلب وتقوى على المتاعب والصعاب بالله، وتقديم الأهل النصيحة لابنتهم بالصبر على مصاعب الحياة وعدم تحميل زوجها فوق طاقته إذا لم يستطيع إحضار خادم لها.

10. مساعدة الزوج ومعاونة زوجته في بعض أعمال المنزل مشاركةً لها وتقديرًا وعرفانًا منه بجهودها وإثباتًا منه لحبه لها.

11. توازن علاقة أهل الزوجين معًا، فعليهم الاهتمام بأولادهم والسؤال عن أحوالهم ومساعدتهم وقت الصعاب ومشاركتهم أفراحهم وزيارتهم، وإن لزم الأمر التدخل في الخلافات فيكون التدخل بالمشورة والنصيحة فقط: وذلك من أجل الإصلاح والتوفيق بطريقة تعيد إلى البيت والأسرة جو الصفاء والود بين الزوجين حتى يحافظا على استمرار سعادة الزوجين.

12. اهتمام الوالدين بطاقة الفتاة وصرفها بما هو مفيد لها بإشغالها بالاعمال النافعة، وعدم تركها فريسة للفراغ، فمثلا عن طريق المطالعة الهادفة وفي التدريب على أعمال المنزل وحفظ القرآن الكريم وزيارة الأرحام ومساهمتها في الجمعيات الخيرية والعمل الجماعي في مشاريع مساعدة الفقراء والأيتام وممارسة الهوايات كالرسم وممارسة الرياضة ففيها تقوية لعقلها وجسدها، وكذلك الرحلات والسفر للأماكن الإسلامية التاريخية.

13. حل الزوجين مشكلاتهما بنفسيهما دون أي تدخل من الأهل أو الأصدقاء: لأنهما إذا عجزا عن ذلك فلن يكونا قادرين على تحمل مسؤولية الأسرة وتربية الأولاد ومواجهة صعوبات الحياة، كما أن عليهما عدم إخراج أسرار حياتهما خارج حدود البيت وخصوصًا إلى الأهل: مما يعني أن الزوجين مطالبان بإدارة دفة الحياة معًا بسرية تامة حتى يظل البيت له حرمته وخصوصيته ولا يصبح مشاعًا.

14. حوار الوالدين للفتاة عند اكتشاف صديقة سيئة لها، فيجب على الوالدين معالجة الموضع بترو في إبعاد تلك الفتاة عن ابنتهم، فيكون بفتح الحوار معها بطريقة غير مباشرة بالتحدث عن موضوع الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، وأن يعطياها فرصة للتحدث عن وجهة نظرها في الصفات التي لا بد من أن تتوافر في الصديقة، ومن خلال ذلك يمكن إقناعها بنقاط السوء في تلك الصديقة السيئة حتى تقتنع بالابتعاد عنها ولا تسلك العناد وتتمسك بها.

15. تقوية العلاقة الأسرية بين الوالدين وبين الفتاة، ومن المهم توفير الاحتياجات الأساسية من عطف وأمان،

وتغيير الأجواء الموجودة من جفاء وقسوة إلى أجواء مرحة وعاطفية إلى المراهقة، فلا بد من تقرب الأم إلى الفتاة ومعاملتها كصديقة والتواصل معها، وبذلك ستطلع الأم على اهتماماتهن وأفكارهن، ومن ثم ستكون الأم صورة واضحة عما تفكر ته ابنتها.

16. تفهم الوالدين والأسرة لابنتهم المطلقة بمساندتها وتقوية إيمانها وصبرها ودعم ثقتها بنفسها وتقبلها: مما يشجعها ويساعدها على إيجاد حياة جديدة سواء بالدراسة أو العمل وتجديد روحها ونفسيتها حتى لا تُصاب بالاكتئاب والعزلة، وأن يؤكدوا لها أنه سبحانه وتعالى سوف يعوضها خيرًا.

نتائج البحث

- يجب أن نتعلم من المنهج النبوي التربوي في تربية البنات قبل الزواج وبعده وبعد طلاق البنت.
- يجب توقف العنف الأسري ضد البنات واتباع سنة نبيينا ﷺ بهذا الصدد.
- تربية البنت في الحقيقة تربية للجيل بأسره، وبالتالي من أراد المساهمة في تربية الأجيال فليحسن تربية البنات.
- تربية البنات فريضة إسلامية مقدسة أكد عليها الرسول ﷺ بطريقة عملية.

التوصيات والاقتراحات

- يجب جمع المتخصصين في القضايا الأسرية والتفكير في حلها وتوعية الآباء والأمهات لتربية البنات.
- يجب تدريس الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات حقوق الأسرة وكيفية تعامل في الحياة الأسرية.
- العمل على كتابة بحوث مفصلة عن حياة الرسول ﷺ وتعامله مع بناته رضي الله عنهن. البحث عن أسباب فك الأسرة.
- ينبغي للمعلمات أن لا يقتصرن واجبهن بتدريس المواد الدراسية فقط بل يجب أن يعتبرن تربيتهن الإسلامية والنفسية والاجتماعية من الأولويات سواء هن داخل المدرسة أو خارجها.
- الأمة تنهض بنهضة النساء من داخل البيوت، لا يمكن النهضة التربوية ما لم نشعر مسؤوليتنا تجاههن بجد وإخلاص.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 international license.

الهوامش

[1] القرآن 39:75.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري،**الجامع الصحيح**، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة،رقم الحديث:1418.

[3] عبد المجيد منصور الشربيني زكريا،**علم نفس الطفولة**،(القاهرة: دار الفكر العربي، طبعة أولى،2009م)،ص164.

[4] محمد بن عيسى الترمذي،**السنن**،كتاب البر والصلة عن رسول اللهﷺ،باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات،رقم الحديث:1968.

[5] فضل إلهي،**عظيم منزلة البنت**،(الرياض: دار الحضارة، طبعة أولى،2012م)،ص15.

[6] أبو الفرج الأصفهاني،**الأغاني**،(بيروت: دار الفكر،طبعة أولى،2001م)،ص155.

[7] القرآن 32:49-50.

[8] عبد العزيز محمد النغيمشي،**المرهقون**،(الرياض: دار المسلم،طبعة ثالثة،2016م)،ص179.

[9] القرآن 21:30.

[10] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب النكاح،باب الترغيب في النكاح،رقم الحديث:5063.

[11] عبد الله شحاتة،**نظرات إسلامية في الحب والزواج والمرأة**،(القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر،طبعة ثانية،2004م)،ص35.

[12] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب النكاح،باب قول النبي ﷺ،رقم الحديث:4778.

[13] القرآن 21:4.

[14] أبو داؤد سليمان بن الأشعث،السنن، كتاب الحج،باب صفة حجّة النبيﷺ،رقم الحديث:1905.

[15] عبد الله شحاتة،**نظرات إسلامية في الحب والزواج والمرأة**، ص14.

[16] جمال الشمري،**العنف سلوك اضطرابي دواعيه وآثاره النفسية**،(مصر:موقع مجلة الحوار المتمدن،2008م)،ص33.

[17] القرآن 32:24.

[18] محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه،**السنن**،كتاب النكاح،باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، رقم الحديث:1967.

[19] القرآن 232:2.

[20] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب النكاح،باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها،رقم الحديث:5136.

[21] عبد الحميد محمد الهاشمي، **علم النفس التكويني**،(القاهرة: مكتبة الخانجي،طبعة أولى،2001م)،ص145.

[22] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب النكاح،باب إذا زوّج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود،رقم الحديث:5138.

[23] أبو داؤد،**السنن**،كتاب النكاح،باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها،رقم الحديث:2082.

[24] ابن ماجه،السنن،كتاب النكاح،باب نظر الرجل إلى المرأة، رقم الحديث: 1866.

[25] صلاح عبد الغني محمد،**الزواج والحياة الزوجية**،(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،طبعة أولى،1998م)،ص97.

[26] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب أحاديث الأنبياء،باب الأرواح جنود مجنّدة،رقم الحديث:3336.

[27] عبد الله شحاتة، **نظرات إسلامية في الحب والزواج والمرأة**،ص15.

[28] القرآن 4:4.

[29] أبوبكر الجزائري،**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**،(جدة: راسم للدعاية والإعلام، طبعة ثالثة،1412ه)،ص435.

[30] مصطفى حسين عطار،**مواقف من السيرة النبوية**،(مكة المكرمة: مكتبة المنار،طبعة ثانية،1406ه)،ص185.

[31] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني،**مسند الإمام أحمد**،كتاب النكاح، باب صداق النبي ، رقم الحديث: 24478.

[32] أبو داؤد،السنن، كتاب النكاح،باب ذكر تزيج فاطمة، رقم الحديث: 2125.

[33] محمد يوسف عفيفي،**من الهدي النبوي في تربية البنات**،(المدينة المنورة: مجلة الإسلامية،العدد 117)،ص408.

[34] أحمد بن حنبل الشيباني،**مسند الإمام أحمد**،كتاب النكاح ، باب الوليمة ، رقم الحديث:22526.

[35] أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النّسائي،**عمل اليوم والليلة**،(بيروت: مؤسسة الرسالة،طبعة ثانية،1408ھ)، ص252.

[36] أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النّسائي ،**السنن**،كتاب النكاح،باب جهاز الرجل ابنته، رقم الحديث:3384.

[37] بكر محمد إبراهيم، **موسوعة أهل بيت النبي**ﷺ،(القاهرة: مركز الراية للنشر والتوزيع، طبعة أولى،1410ھ)،ص35.

[38] توفيق يوسف الواعي،**الإبداع في تربية الأولاد**،(الكويت:دار البحوث العلمية،طبعة أولى،2009م)،ص158.

[39] البخاري،**الجامع الصحيح**، باب التكبير والتسبيح عند المنام،رقم الحديث:3705.

[40] محمد بن سعد بن منيع الهاشمي،**الطبقات الكبرى**،(بيروت: دار الكتب العلمية،طبعة أولى،2008م)،ص159.

[41] القرآن 65:7.

[42] وهبي سليمان غاوجي،**المرأة المسلمة**،(بيروت: مؤسسة الرسالة،دار القلم،طبعة خامسة،1975م)،ص65.

[43] عبد الحميد محمد الهاشمي،**علم النفس التكويني**،ص145.

[44] فوزي شعبان،**العلاقات الزوجية في الإسلام والمسيحية واليهودية**،(القاهرة: دار الكتاب العربي، طبعة أولى،2006م)،ص234.

[45] البخاري،**الجامع الصحيح**،كتاب الأذان،باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاةُ فخرج،رقم الحديث:676.

[46] أحمد خليل جمعة،**نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة**،(دمشق: دار اليمامة،طبعة ثالثة،2015م)،ص521.

[47] المصدر نفسه، ص548.

[48] أحمد القرطبي،**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**،(بيروت: دار ابن كثيرللطباعة والنشر،طبعة أولى،1410ھ)،ج8،ص20.

[49] جاسم المطوع،**الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية**،(الكويت: مكتبة المنار الإسلامية،1998م)،ص105.

[50] محمد عبد الغزيز المسند،**تشبه المرأة بالرجل مظاهر وعلاج**،(شبكة نور الإسلام، طبعة أولى،2001م)،ص25.

[51] محمد بن جرير الطبري،**تاريخ الطبري**،(بيروت: دار التراث،طبعة ثانية،2014م)،ج11،ص594.

[52] إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي ابن كثير،**السيرة النبوية**،(بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر،2015م)،ج3،ص379.

[53] نزار أباظة، **في بيت الرسول** ﷺ،(دمشق: دار الفكر،طبعة أولى،1412ھ)،ص127.

[54] محمد يوسف عفيفي،**من الهدي النبوي في تربية البنات**،ص411.